بناء مجتمع متحضر قاعدته التعليم الفعال والمستمر

وتغيير مفهوم التعليم من أجل الوظيفة

د. خالد خواني ، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي – الجزائر
k_khouani@yahoo.fr

ملخص:

ان التغيرات العميقة التي تشهدها اقطار العالم، يحتِّم على المنظومة التربوية– التعليميَّة تغييرَ مَعالمها التدريسية–الديداكتيكية؛ لتُواكب مستجدَّات النظم التعليمية العالمية. ولتحقيق ذلك لا بد من تحقيق الجودة والفعالية في التعليم؛ بُغيَةَ تحقيق مخرَجات مرغوبٍ فيها لدى المتعلِّمين؛ إذ يعمل المدرس على توفير البيئة الصفيَّة التي تتميز بالرغبة والدافعية نحو التعلم.

الكلمات المفتاحية: المجتمع، التعليم، التعليم الفعال، الوظيفة.

Résumé:

Les profonds changements qui se produisent dans les différents pays du monde; obligent le système éducatif à modifier ses caractéristiques pédagogiques afin de s’adapter aux dernières évolutions des systèmes éducatifs mondiaux. Pour atteindre cet objectif, la qualité et l'efficacité de l'éducation doivent être atteintes pour que les apprenants obtiennent les résultats souhaités. L'enseignant s'efforce de fournir un environnement de classe caractérisé par le désir et la motivation d'apprendre.

Mots clés: la société; l'apprentissage; la fonction.

مقدمة:

تعاني التربية العربيَّة المعاصرة عمومًا – بممارساتها ومناهِجها ومضامينها – حالةً من الجمود المنهجيّ، والتصلُّب التدريسي، في سياق المبالغة في السُّلطوية في التربية العربية؛(في طرائق التدريس، وفي التقويم التربوي، وفي الإشراف التربوي، وفي الإشراف الإداري، وفي المناهج الدراسية)[1]...، مناهِضةً لكل إمكانيات الانطلاق الحضاري نحو معالم الجِدَّة والابتكار، والفعالية في التدبير الديداكتيكي، وتكبح قدرتَه على الانطلاق في مغامرة الإبداع والبناء العلميّ والثقافي والتنموي.

I.أهداف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضَّوء على ما يُسمى بالتعليم الفعَّال وأبعاده، والمؤشرات الدالة عليه، والاستراتيجية البيداغوجية الفعالة؛ لتنميتها داخل البيئة الصفية، كما أكدنا على أن حصر العملية التعليمية في زاوية الوظيفة ينقص من قيمة الهدف الأسمى من التعلّم هو كسب ثقافة التحضر التي لا يحدها مكان أو زمان بل هو مستمر استمرار الوجود الإنساني.

II.التعليم الفعال:

إنَّ نظرة فاحصة للتغيرات التي يشهَدها العالم – سواء على المستوى الاقتصاديّ والاجتماعي والتكنولوجي– يحتِّم على المنظومة التربوية –التعليميَّة تغييرَ مَعالمها التدريسية– الديداكتيكية؛ لتُواكب مستجدَّات النظم العالمية، ولتحقيق ذلك لا بد من تحقيق الجودة والفعالية في التعليم؛ بُغيَةَ تحقيق مخرَجات مرغوبٍ فيها لدى المتعلِّمين؛ إذ يعمل المدرس على توفير البيئة الصفيَّة التي تتميز بالرغبة والحافزيَّة في التعلم، ويظهر التدريس كنظام تتَداخل فيه المراحل التعليمية– التعلُّمية كما تظهر في الشكل رقم 1:

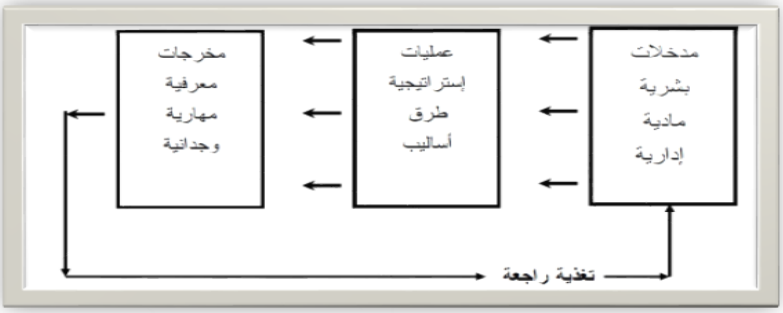

الشكل رقم 1: مراحل العملية التعليمية التعلُّمية

ترتكز العملية التعليمية التعلُّمية على مبدأ التغذية الراجحة انطلاقا من المراحل التالية:

- المدخلات يساهم فيها العنصر البشري المؤهل والوسائل المادية والإدارة.

- الأساليب والطرق التعليمية الناجعة للعملية التعليمية وفق استراتيجيات مخطط لها مسبقا من طرف هيئات مختصة في الميدان.
- مخرجات معرفية مهارية ووجدانية.

1- تعريف التعليم الفعَّال:

يرتبط التعليم الفعال بقدرة المدرس وإبداعه في لإثارة العقليَّة والفكرية لدى التلاميذ، إلى جانب العلاقة الإيجابية بينهما مما يحفّز التلاميذ على التعلُّم.[2]

فالتعليم الفعال إذًا تنخرط فيه عناصرُ متكاملة ومنظوميَّة من المدرِّس المتحكم في الاستراتيجيات الفعالة في التعليم أي المادة المعرفيَّة التي تركز على إعطاء معنى وظيفيٍّ لها، والمتعلم الذي يعدُّ القطب الرَّحى في العملية التعليمية – التعلُّمية الذي نرسِّخ فيه القِيمَ الإبداعية والتفاعل والإيجابية والتفكير الناقد والتقويم (والمؤثرات الخارجية) البيئة المحليَّة – المجتمع المدني – المسجد، الإعلام ...إلخ.

2- العناصر المهمة في التعلم الصفي الفعال:

تتحكم في فعالية البيئة الصفِّية مجموعةٌ من العناصر الأساسية، ولعل من أبرزها[3]:

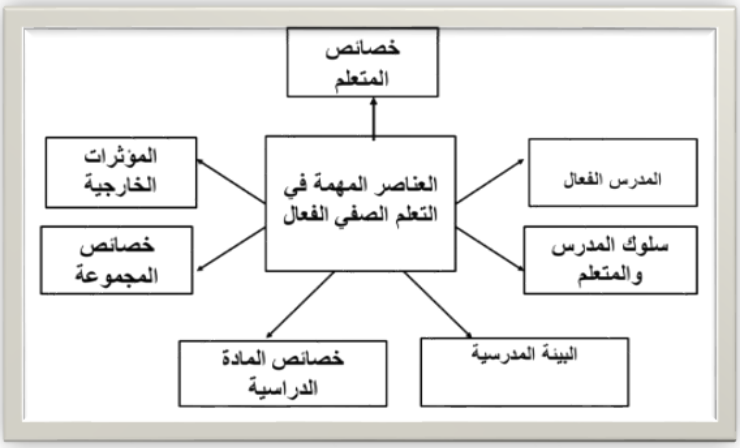

الشكل رقم 2 : العناصر الاساسيه في التعلم الصفي الفعال

أ. **خصائص المتعلم:** يتوقف التعلم الصفِّي الفعال على مدى تجانس خصائص المتعلمين في الصف؛ من حيث قدراتُهم العقلية والحركية، وصفاتُهم الجسدية، وقيمُهم واتجاهاتهم وتكاملُ شخصياتِهم؛ حيث يعدُّ هذا العامل من أهمِّ العوامل التي تقرر فاعلية التعلم.

ب. **المدرس الفعال:** هو المدرس القادر على إشراك المتعلمين جميعِهم، وعلى توجيه الأسئلة إلى كافَّة التلاميذ بدل التركيز على بعضهم أو مَن لديهم رغبةٌ جامحة في التعلم[4].

ج. **سلوك المدرس والمتعلِّم:** يؤثر التفاعل المستمرُّ بين سلوك المدرس وسلوك المتعلم في نتائج التعلم، وترتبط شخصيةُ المدرس الواعي الذكيّ بطرق التدريس الفعالة القائمة على أساسٍ من التفاعل.

د. **البيئة الطبيعية للمدرسة:** ترتبط فاعليَّة التعلُّم بمدى توفُّر التجهيزات والوسائل التعليميَّة الضرورية، المتعلقة بمادة التعلم.

هـ. **المادة الدراسية** : وذلك بانتقاء المحتوى الدراسيّ الذي يتَماشى وطموحاتِ المتعلم اليوميَّةَ والحياتية؛ وذلك سعيًا لترسيخ الرغبة في التعلم.

و. **خصائص المجموعة المتعلِّمة:** ترتبط فاعلية التعلم بالتركيبة الاجتماعية التي يتكوَّن منها الصفُّ الدراسي؛ من حيث اختلافُ متعلِّمي الصف في قدراتهم وصفاتهم، واتجاهاتهم وميولهم، وقيمهم وخبراتهم السابقة، كما ترتبط هذه الفاعلية بمدى التباين والتجانُس في الوسط الاجتماعي للمدرسة؛ من حيث الظروفُ والمستويات الاقتصادية والاجتماعية للمتعلِّمين.

ز. **المؤثرات الخارجية:** يُقصد بها العوامل التي تؤثِّر في موقف المتعلم تجاه التعلُّم المدرسي، فالبيت والبيئة الثقافيَّة التي يعيش فيها المتعلم من العوامل المهمَّة التي تحدد صفاته الشخصيَّة ونمط سلوكه داخل غرفة الصف.

بصيغة أخرى، فالعملية التعليميَّة تشتمل على ثلاثة أبعادٍ رئيسة متمثلة في الآتي[5]:

- **البعد المعرفي:** ويقصد به مجموعُ المعارف والمعلومات التي يُستهدف تعليمها للمتعلم؛ أي: المادة التعليمية.

- **البعد السلوكي:** ويقصد به مجموع أشكال الأداء والأساليب التي يتم عن طريقها تحقيقُ الأهداف التعليمية المقصودة؛ أي: طريقة التدريس.

- **البعد البيئي:** ويُقصد به مجموع الظروف البيئية بعملية التدريس، والتي يتم من خلالها تحقيق الأهداف التعليمية.

3- مقومات ودعائم التعليم الفعال:

يمكن تحقيق التعليم الفعال من خلال الدعائم التالية:

•الرغبة في التعلم : مع الاكتظاظ الذي تعرفه جلُّ الفصول الدراسية، وفي ظلِّ التفريط من قِبَل أولياء الأمور، وما تقوم به وسائلُ الإعلام من تشويهٍ لصورة المدرس، كل ذلك قلَّل من دافعية المتعلِّم للتعلم؛ من هنا يلزم التفكير جديًّا في إيجاد رغبةٍ في التعلم؛ إذ صرَّح أحد التربويّين الغربيّين بقوله: "لن يُجدِيَ كثيرًا

أن نُضاعف من إنشاء المَدارس، ومن تكوين المدرّسين، ومن تصوُّر طرائقَ بيداغوجية جديدة، ما لم يكن التلاميذُ يرغبون فعلاً في أن يتعلموا.[6] "

•التصميم المنظم للوَحدة الدراسية :عبر محطَّات تعليمية – تعلُّمية أساسية: التخطيط والبناء الديداكتيكي المتين، والتقويم التكويني المنظم، والدعم والمواكبة الديداكتيكية.

•تنويع استراتيجيات التدريس: هناك العديد من الاستراتيجيات المتعلِّقة بطريقة التعليم والتدريس؛ ومنها التعليم المباشر) المواجهة(، والتعليم بالاكتشاف، والتعليم بالحوار والمناقشة، والتعليم باستخدام الوسائل البصرية والسمعية واللمسيَّة، وتوظيف كل الأساليب التكنولوجية، كالحاسوب ووسائل الاتصال المختلفة.

•تنويع أنماط التعليم :في التعليم – الذي يركِّز على البيداغوجيا الفارقية – لا يفرض إستراتيجية واحدة في التدريس، بل يتم تنويع أنماط مختلفة تجمع ما بين ما هو مرئيٌّ وسمعي، وحركي ، تحليلي، وشمولي، وإبداعي.

•التقويم من أجل التعلُّم :أي إن المتعلمين بحاجة ماسَّة من خلال شبكة تقويميَّة إلى تعلم التقويم الذاتي، حتى يَصيروا قادرين على توظيف التغذية الراجعة؛ لتطوير أدائهم وإنجازاتهم التعلمية.

•تشجيع الاستقلالية والمشاركة الفعالة: من خلال التربية على الاختيار وتنمية الذات، عن طريقة أنشطة تربوية داعمة وموازية، وترك مساحة حرَّة للإبداع.

4- الاستراتيجيات البيداغوجية الفعالة:

نظرًا لتباين استيعاب وانخراط المتعلمين في العملية التعليمية – التعلُّمية بشكل فعال، يَنبغي تنويع استراتيجيات التدريس، ولعل من أبرزها:

أ. الاستراتيجية المعرفية – الوظيفية: التي تركز على ربط المتعلم بواقعه المحلِّي واليومي؛ ذلك أن الاهتمام بتدريس ما له علاقة مباشرة بحياة التلميذ واهتماماته، من خلال التركيز على المعنى والمحتوى وصلته بواقع حياة المتعلم خارج الفصل الدراسي، يجعل المتعلم أكثرَ دافعيةً نحو التعلم.

ب. الاستراتيجية التعاونية: وذلك بتقسيم التلاميذ إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة، تضمُّ مستوياتٍ معرفيةً مختلفة، يتعاون أفرادها في تحقيق أهداف مرسومة، تعود عليهم جميعًا بفوائد تعليمية متنوعة.

ج. استراتيجية التعلم التفاعلي: من خلال تشجيع المتعلمين على الشجاعة في إبداء الرأي، والمناقشة التي تركز على تبادل الأفكار والآراء، بطريقةٍ تعزِّز الدافعية نحو التفاعل مع المادة التعليمية.

د. **استراتيجية حل المشكلات:** تشجع المتعلمين على مستوياتٍ عليا من التفكير، عن طريق عرض مشكلات واقعية وثيقة الصلة بالتلميذ الذي يدرك أهميتها بالوحدة التعليمية، وبجمع المعلومات المتصلة بها، ويعرض الفَرضيات للحل.

نستنتج مما سبق أن تحقيق الفعالية والجودة في التعليم لا تقتصر على إلقاء المدرِّس وعرضه لترسانة معرفية، تشحن ذاكرة المتعلِّم، ثم تذهب أدراج الرياح بعد اجتياز الامتحانات، لكن رسالته النبيلة ترتبطُ بقدرته على تنمية التعلم الذاتي، وتطوير مهارات التفكير البناء والناقد.

III.واقع التعليم في العالم العربي:

يذكر أحمد جمال سالم وهو مختص في مجال التربية والتعليم مشكلات التعليم في البلدان العربية كما يقترح حلولا ممكنة للخروج منها وهي كما يلي:

يُعاني التعليمُ في العالَم العربي من أزمةٍ غاية في الخطورة، وهي في الحقيقة ليست خَطِرةً فقط، ولكنها مزمنة أيضًا ويصعب حلُّها، بسبب تفشِّي أسباب الأزمة وتوغُّلها في كل المؤسسات العلمية الموجودة في كل الدول؛ فقد أشارت التقاريرُ أن الوطن العربي هو أكبرُ بؤرةٍ للأمِّيَّة في العالَم، وأن الجامعات العربية لم يكن لأيٍّ منها مكانٌ في الجامعات الـ100 الأعلى نجاحًا في العالم، في حين أن العدو الصيهوني قد تم إدراجُه على هذه القائمة بجامعة القدس المحتلَّة في المركز الـ70 بين 100 جامعة، ومن هذه النسبةِ يتَّضِحُ لنا اهتمام العدوِّ الصهيوني بالتعليم كبنية أساسية وكعامود أساسي من عواميد تكوين الدولة الناجحة.

1. مشكلات التعليم:

وقد حدَّدت منظمة اليونسكو مشكلةَ التعليم في الوطن العربي من خلال برنامج التعليم في العالَم العربي لدى منظمةِ الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، وقد وضع البرنامجُ هذه المشكلات في تقريره الذي أوضح أن مشكلات التعليم في الوطن العربي تختلفُ من دولة لأخرى، فهناك فرقٌ بين دول الخليج والدول العربية الواقعة في قارة أسيا، والدول العربية الواقعة في إفريقيا، وفروق بين الدول الواقعة في شمال إفريقيا والدول الواقعة في الجنوب، تتمثل تلك الفروق في إمكانات تلك الدول المادية؛ فالوضع يختلف من دول لأخرى، وأن هذا يؤثر على جودة التعليم، ولكن المال في بعض الأحيان يصبح نقمةً؛ لأن كثيرًا من الدول العربية لا تهتمُّ ببناء دول خاصة بها، وتهتم ببناء فروع للدول الغربية الأمريكية والإنجليزية مثلاً، وبالتالي إذا نفد المال نفد التعليم؛ لأن التعليم في تلك الدول مرتبطٌ بالمال، وهذه مشكلة كبيرة.

هناك بعض المشكلات الأخرى تتلخَّص في طغيان الطابعِ النظري والمناهج النظرية في المنظومات التعليمية، كما أن الأساليب المستخدمة في التطبيق بدائية جدًّا وتقليدية، وهناك شيء آخر وهو عدمُ قدرةِ

الطلاب على الاستفادة من المحتوى التعليمي المقدَّم لهم، ويتم تخريجهم وهم ليسوا على درايةٍ بما يجب أن يفعلوه بعد التخرُّج، وأن هناك قلة نسبية في استكمال التعليم في الدول العربية بسبب عدم وجود فرص عمل مناسبة للخريجين، وهناك أيضًا تكدُّس في المناهج التعليمية والاعتماد على التلقين المستمر، وإهمال جانب التطبيق العملي لتلك المناهج، هناك عامل خَطِر جدًّا وهو عدم الاهتمام بدور الكتب والمعامل العلمية والمكتبات، كما أن عددهم غيرُ كافٍ لكل الطلاب الموجودين في المدرسة، واستخدام العنف ضد الطلاب؛ مما أدَّى إلى ضعف انتمائهم وحبهم لاستكمال العملية التعليمية، وأخيرًا عدم وجود الفرد المناسب في المكان المناسب داخل المنظومة التعليمية، يتمثَّل ذلك في أن رؤساء الإدارات التعليمية غير متخصصين أصلاً في المجال التعليمي.

وأشار التقرير إلى أن هذه المشكلات والخلل الموجود في المنظومة التعليمية لا يقتصرُ على الوطن العربي فقط، ولكن هناك معظم الدول الأوروبية تعاني من تلك المشكلات، ويتسبب ذلك في فشل العملية التعليمية لديهم، ويضطرون – مثلهم كمثل الدول الفقيرة – للسفر إلى أمريكا وكندا للتعلم هناك.

2. أرقام وإحصائيات:

أصدرت الأمم المتحدة تقريرًا عن الأمية ومستوى التعليم في الوطن العربي للعام 2013، وقد أثبت التقرير أن 27 % من إجمالي سكَّان الوطن العربية أُميِّين؛ أي إن عددهم يبلغ من 70 إلى 100 مليون أُمِّي، ويُظهِر التقرير أن النسبة قد قلَّت بالمقارنة بعام 2005 الذي كانت نسبة الأميَّة به 35 % في الوطن العربي، وأثبت التقريرُ أن نسبة الأمية بين الإناث تمثِّلُ أضعاف النسبة بين الذكور بنسبة 60 إلى 80 % من إجمالي عدد الأُميِّين، وأكَّد التقرير أن نسبةَ الأمية في الوطن العربي إذا سارت على نفسِ هذا المعدَّل فنحن نحتاج إلى ما يقرب من 40 عامًا؛ لكي تختفي الأمية في تلك الدول، وأكَّد تقريرُ الرصد العالمي للتعليم أن هناك حوالي 6.5 مليون طفل في العالَم العربي غير ملتحقين بالتعليم، وهناك نسبة من 7 إلى 20 % من الملتحقين بالتعليم يهرُبون منه بعد المراحل الأولى.

وقد أصدرت مجلةُ" التايمز "تقريرَها السنوي عن أفضل الجامعات على مستوى العالم، ولكن في هذا العام خرجت الدول العربية من التصنيف ولم تتمكَّن أيُّ جامعة عربية أو إسلامية من الحصول على أي مستوى ضمن المائة اسم، في حين أن بني صهيون استطاعوا أن يحفظوا لهم مكانًا بين الجامعات المائة؛ حيث احتلت الجامعة العبرية بالقدس المحتلَّة الموقع الـ71، وقد وضعت دراسة جامعتي القاضي عياض بمراكش بالمغرب والأخوينِ بإيفران بالمغرب أيضًا في رتبتين متأخرتين جدا.

من بين هذه الجامعات؛ وهما أفضل الجامعات عربيًّا، وتحتل جامعة القاضي عياض بالمغرب المرتبة الأولى بين جامعات المغرب، والمرتبة الثالثة بين الجامعات مغاربيًّا، و37 بين الجامعات الإفريقية، و35 بين الجامعات العربية.

كما أصدرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة إحصاءاتٍ تُؤكِّدُ أن الدول العربية تُنفِقُ أقل من 2٪ فقط من ناتجِها المحلي على التعليم والبحث العلمي، وهذا يعد رقمًا ضئيلاً جدًّا بجانب ما تنفقه الدول المتقدمة التي تنفق حوالي 10٪، وتُؤكِّد هذه الأرقام الفجوةَ الكبيرة بين الدول العربية والأوروبية، ويظهر أثرُ ذلك في انخفاض نسبة التعليم وجودته في الدول العربية.

3. الحلول المقترحة:

قال الدكتور حسن عبدالمقصود – أستاذ التربية بجامعة عين شمس"– بالطبع التعليمُ في الوطن العربي يُواجِهُ مشكلاتٍ عديدةً وكبيرة ومعقَّدة في نفس الوقت، ولكن يجب علينا أن نبحث عن حلولٍ لتلك المشكلات.

ومن وجهة نظري أرى أن التعليم في الوطن العربي يبدأُ من الأسرة، فيجب على الأسرة أن تغرس في أبنائها أهميةَ العلم وأهمية المدرسة– كما أن للمدرسة في المراحل الابتدائية لها دور كبير أيضًا في نفس الاتجاه– من خلال تعليم الأبناء أن الله أمرنا بالعلم وأنه سيعود بالفائدة عليهم. اما ثانيًا فيجب تشديدُ الرَّقابةِ على المدرِّسين وعلى العملية التعليمية من جانب الدولة والحكومات؛ لأن العملية التعليمية استقامتها ستؤدي لاستقامة الدولة كلها وتقدُّمِها، واعوجاجُها سيعود بالضرر على الدولة ككل وعلى كل المؤسسات.

وتأتي تلك الرقابة من خلال المتابعة وعقاب المقصِّرين ومكافأة المدرِّسين من ذوي الكفاءة وهكذا. كما أنه يجب رفع رواتب المعلِّمين؛ حتى يساعدهم ذلك على إعطاء العملية التعليمية كل ما بوسعِهم، إلى جانب الاهتمام بالمناهج التعليمية وتحويلِها من مناهجَ نظريةٍ عقيمةٍ إلى مناهج عملية. كما يتم توفير المعامل العلمية والمكتبات، وجعلها متاحة لكل الطلاب في كل الأوقات، وهناك دورٌ كبير على الدولة وهو توفيرُ ميزانيةٍ كافية للتعليم والمؤسسات التعليمية إلى جانب تشديد الرقابة على المدارس الموجودة بالقرى والمناطق النائية؛ لأنها تكون بها أكبر قدر من الفساد.

وأكد عبد المقصود على أن هناك شيئًا هامًّا جدًّا في العملية التعليمية يجب الالتفات إليه، وهو توفير العمل المناسب في الدولة للحاصلين على شهادات عالية؛ حتى لا يصاب الأصغر سنًّا منهم بالإحباط من التعليم والاستهانة به، والاتجاه إلى العمل في سن مبكرة وترك التعليم، والالتفات إلى العلماء العرب في الدول الأجنبية والاستفادة من خبراتهم في تطوير التعليم؛ لأن التعليم هو الركيزة الأساسية في نهضة الأمم، كما يجب على مسؤولي وضعِ المناهج الدراسية أن يبتعدوا عن المناهج الصعبة والمعقَّدة والاعتماد على

المناهج التي تعتمد على مشاركة الطلاب، ولا تحتاج إلى التلقين والحفظ فقط، فضلاً عن الابتعاد عن الغش في الامتحانات وتشديد الرقابة على الامتحانات، بحيث لا ينجح إلا مَن يستحق؛ حتى لا تتحوَّل العملية التعليمية إلى عمل روتيني والمجتهد ينجح والفاشل ينجح ويتساوون في الدرجات، كما أنه يجب عمل اختبارات دورية للمعلمين ولا يترك لهم أمر تعليم الطلاب يتصرفون فيه كما يشاؤون.

IV.تغيير مفهوم التعليم من أجل الحصول على وظيفية وغرس مفهوم التعليم مدى الحياة في المجتمع:

1- الجذور التاريخية لفكرة التعليم مدى الحياة:

تعود جذور فِكرة التربية مدى الحياة أو التربية المستمرَّة في الثقافة الغربية إلى "كومنيوس" 1592 – 1670 م الذي بيَّن في كتابه "Didacticamagne" :سنة 1621م، أنَّ التربية المستمرَّة تعني فنَّ التعلُّم الأكبر، لكن تَطوَّر المفهوم ليدلَّ على عمليَّة تربويَّة واجتماعية تهدف إلى تلبية حاجيَّات المجتمع وفق التطورات الاقتصاديَّة والعلمية.

لكن مَن يمعن النَّظر في تراثنا الإسلامي يجد أنَّ كُنه هذه التربية إنَّما هو جزء أصيل في ثقافتنا وهويَّتنا؛ إذ يُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "علِّموا أولادكم لزمانهم، فإنَّهم خُلِقوا لزمان غير زمانكم."

لهذا مثَّلَت التربية مدى الحياة مربط الفرَس في إصلاح التعليم في مجموعةٍ من البلدان، التي تنشد التقدُّم والرُّقي في ميادينَ شتى، وهذا هو مرتكز المقاربة البيداغوجية الحديثة المعروفة بالكفايات، التي من أهمِّ مبادئها ليس التعلُّم السَّلبي بل التعلُّم كيف أتعلَّم.. كما يقول المثَل الصِّيني: "إذا أعطيتني سمكة، فقد أطعمتني مَرَّة، وإذا علَّمتَني كيف أصطاد السمكةَ، فقد أطعمتَني إلى الأبد"... فقد اعتبر تقرير لجنة جاك ديلور: "أنَّ مفهوم التعليم مدى الحياة، يشكِّل أحد مفاتيح القرن الحادي والعشرين، ويستجيب للتحدِّي الذي يَطرحه عالم سريع التغيُّر، وأنَّه ينبغي أن نجعل التعليمَ مدى الحياة في قلب المجتمع والاقتصاد."[7]

2- مرتكزات تحول التربية مدى الحياة:

يرتكز تحول النِّظام التعليمي نحو المعرِفة في عصر المعلوماتيَّة والعولَمة، إلى تَحقيق أربع غايات ومرتكزات اتَّفق عليها مُعِدُّو تقرير اليونسكو، هي: (تَعلَّم لتَعرف، تَعلَّم لتَعمل، تعلَّم لتكُون، تعلَّم لتشارِك الآخرين[8]:

•تعلَّم لتعرِف :ركَّز التعليم في الماضي على: (ماذا تعرف؟)، لا: (كيف تعرف؟)، ومع ظاهرة الانفجار المعرفي أصبحَت الأولويَّة لكيفيَّة الحصول على المعرفة، وكيفيَّة إتقان أدوات التعامل معها، والفهم

لكيفيَّة التعامل مع تَراكم المعلومات، وتكامُل المعرفة، واتِّساع نطاقها، واستدامة اكتِسابها، وتنمية المهارات العقليَّة.

•تعلَّم لِتعمل :تسعى هذه الغاية التربويَّة إلى تأهيل الفرد وتَدريبه لِتلبية مطالِب المجتمَع؛ من خلال التعامُل مع عالم الواقع، والعالم الافتراضي، كذلك تعدُّد أطوار العمل؛ كالعمل من بُعد، والعمل الجماعي، والعمل أثناء التنقُّل والحركة.

•تعلَّم لتكُون :تعمل هذه الغاية لتنمية الفرد بدنيًّا وذهنيًّا ووجدانيًّا وروحيًّا؛ وذلك من خلال إضفاء الطَّابع الشَّخصي للمتعلِّم في الجوانب العمليَّة التعليميَّة، وتنمية ملَكة التحكُّم في الأمور، وتَنمية الشعور بالمسؤوليَّة الفرديَّة، وسرعة اكتساب المهارات للصِّغار، وتنمية الإبداع والخيال.

•تعلَّم لتشارِك الآخرين :أدَّى عصر المعلومات إلى تَوسيع بِيئة حياة الإنسان، مِن بيئةٍ محليَّة إلى بيئةٍ عالَميَّة، ويتطلَّب هذا تغييرًا في التوجُّهات التربويَّة والإداريَّة، ومن أهمها: إدخال اللُّغة الإنجليزيَّة مع الاهتمام الكبير باللُّغة العربية، وتعزيز مفهوم التفكير، واستخدام التكنولوجيا كأساسٍ في التعليم، وتطوير المناهج والوسائل التعليمية.

بمعنى أنَّ التعليم والتعلُّم، منظومة نسقيَّة متكامِلة ومتداخِلة، تَشمل هندسةً للأفكار والمبادئ والرُّؤى والتصورات؛ لتحقيق تنمية مستدامة وشاملة للفرد والمجتمع.

3- أسسها في الفلسفة التربوية:

إنَّ العناية الكبرى بهذه المقارَبة المبنيَّة على التعليم المستمرِّ والدَّائم- يَجعل المدرسة تحطِّم كلَّ الحواجز مع الحياة، وتنفتح على المحيط السوسيو- اقتصادي؛ بمعنًى آخر: إخضاع المدرسة والتربية والتعليم للتغيُّرات التي تلحق المجتمع والاقتصاد والثَّقافة... و في اعتقادي زعيم فلسفة التربية البراغماتية جون ديوي كان سباقا في توضيحه لجوهر التعليم مدى الحياة في سياقات حديثه عن اداتية التربية و أهميها في حياة الفرد والمجتمع على السواء، اذ انها الاداة التي من خلالها نتمكن من ايجاد انموذج من المجتمع الديمقراطي. ومن اجل ذلك كانت طريقة المشروع المتمحورة حول استراتيجية حل المشكلات الانسب في بناء الخبرة الانسانية في تحرير من مختلف القيود النمطية والرتيبة من التعليم التلقيني الاجوف العقيم- الذاكرة- الى تعليم تفكيري تنمو من خلاله الملكات العقلية الى من ادناها الى ارقاها في استثمار لها الفكر في العملية الابداعية والابتكارية.

ومن اجل بلوغ غايات التعليم الهادف تبنَّت الدولُ المتقدِّمة هذا التوجُّهَ التربوي بالأخذ وجهة نظر واسعة جدا او اجتماعية [9] تجعل من بناء الخبرة اساسها تربويا وحياتيا. و مما لاشك فيه ان ايمان جون ديوي

بدور الخبرة في الحياة يعبر عن طموحه لبناء التربية التقدمية التي تتماشى وما قدمه العلم الحديث . و لهذا كان يحدد الخبرات التي تنطوي على قيم تربوية فالذي يؤدي الى السرقة و يحجب الذكاء و يعلم الاستسلام ليس بخبرة تربوية لان هذه الاخيرة تؤدي الى صلاح الفرد والمجتمع و تسعى الى استمرار النمو و الاحراف عن هذا المنحى يقلل من تعلم الفرد لخبرات جديدة. فالخبرة الن التربوية بحق هي التي تزيد من مهارة الانسان وتسمح له بتقبل خبرات جديدة كما تكسبه" المتعة المباشرة مثل الاحتفلات و الزخرفة و الرقص و الغناء....و العمل المفيد الذي يؤدي الى فنون علمية ومعرفية علمية.[10]

خاتمة:

التعليم الفعال مسؤولية الجميع انطلاقا من مشاركة الأسرة والمجتمع، وخصوصا هو مسؤولية القطاع المتخصص في ذلك ومن المفروض المنتمين إليه يكونون من المتخصصين في مجال التربية والتعليم والاعتماد على عنصر التجديد والمواكبة حسب طبيعة المجتمعات. كما نركز على عنصر هام وهو أنه التعليم لا يتوقَّف بمجرَّد الحصول على شهادة مدرسيَّة، أو منصب ووظيفة معيَّنة، بل هي عمليَّة مستمرّة ودائمة، ومتى توقَّف دورُ الإنسان في تَنمية فِكره التعليمي أضحى مجرَّد بِركةٍ آسِنَة، لن يساهِم إلَّا في إعاقة المجتمع وتخلُّفه!

الهوامش:

[1] السورطي، يزيد عيسى (2009)، السلطوية في التربية العربية، سلسلة عالم المعرفة، عدد 3622، الكويت، بتصرف.

[2] الشلبي، إبراهيم مهدي (2000)، التعليم الفعال والتعلم الفعال: آراء في التدريس وأدوار المعلم ومساندية والأسرة في تحقيق تعليم فعال يقود لتعلُّم فعال، مطبعة المعارف، بغداد - العراق.

[3] نادر فهمي الزيود، وآخرون (1993م)، التعلم والتعليم الصفي، ط3، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

[4] Roseshine, B. and Stevens, R (1986) Teaching functions. In M. C. Witttrock (Ed.) , Handbook of Research on Teaching (3rd. pp 376 - 391).New York: Macmillan.

[5] رشدي أحمد طعيمة (1999م) المعلم (كفاياته، إعداده، تدريبه)، ط1،دار الفكر العربي، القاهرة، ص 1988..

[6] René Fourcarde (1975) motivations et pédagogie leur donner soif , les éditions E.S.F, collection science de l'Education. , P13.

[7] J.Delors & Colleagues, Report of the international commission on education for the Twenty first centry.UNESCO , october. 1995.

[8] معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس): 2006، نحو سياسات تعليم تحفيز اقتصاد معرفة تنافسي في الأراضي الفلسطينية، القدس، رام الله.

[9] - جون ديوي : المدرسة و المجتمع ، ترجمة احمد حسن الرحيم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، ط2، 1978، 32

[10] - عبد الحفيظ البار: فلسفة التربية عند جون ديوي، مذركة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، 2010/2009، 49